البند فى الأدب العراقى

للأستاذ محمود العبطة

طالعت (الرسالة) الزاهرة فى عددها (رقم : ٩٢٤) مقالة الأديب الصديق الأستاذ عبد اللطيف الشهاب عن الشاعر العراقى (ابن خلفة الحلى) وقد استطرد الأستاذ الشهاب فى ذكر حياة ابن الخلفة ، وأدبه وشعره حتى وصل إلى ذكر (بنسده) المشهور ، وهنا قال (وأول من اخترع هذا النوع هم أهالى (الحويزة) وهو منوال غريب قد يخرج على أوزان الشعر وقد يخالفها .) وقد رأيت فى هذا القول بعض الشطط ، فجئت فى مقالى هذا لتصحيح أخطائها وإبانة حقيقتها . . . فما هو البند ، ومن أول من اخترعه ، ومن برع وأجاد فيه ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة ، يحسن بنا الإشارة إلى خصائص ومميزات الشعر العربى عموماً ، والشعر العراقى منه على وجه الخصوص ، لأن (البند) نوع من الشعر العربى ، وإن امتاز بميزات ، واتصف بصفات ، لا يشبهها الشعر العربى على وجه العموم ، ثم إن هذا النوع من الشعر لم ينشأ إلا فى العراق ، ولم يبرع فيه إلا العراقيون — عرف نقاد الأدب من العرب الشعر بأنه (الكلام الموزون المقفى) وهذا التعريف البسيط يميز الشعر عن النثر ، وهو تعريف شكلى ، لأنه لم يذكر الميزات الرئيسية التى تخالف الشعر عن النثر ، وهى ميزات الموسيقى والنغم وسحر العبارة ، وهى بالإضافة إلى اتقاد الشعور وشبوب المخيلة . وقد استمسك الشعراء العرب بهذا التعريف ، فنسجوا على منوال الشعراء القدماء بالأخذ بالوزن الواحد والقافية الواحدة على طريقة العمود الشعرى ، ولكن هذا الاستمساك ، وهذا النسج ، يحولان دون بلوغ الغاية والوصول إلى الهدف ، من حيث تصوير لواعج القلب ، وخطرات الروح ، لأنه يجعل قصارى الشاعر النظم على وزن واحد وقافية واحدة ، دون تصوير شعوره الذى هو الهدف الأسمى من نظم الشعر ، ثم لا ننسى التحشيات والجوازات والضرورات ، التى تفسد الشعر ، والتى جعلها الشاعر العربى وسيلة للتغلب على الوزن الواحد والقافية الواحدة ، هذا بالرغم من مرونة الشعر العربى ، واتساع بحوره ، وغزارة مفرداته وغنى ألفاظه ، وبالرغم أيضاً من وجود (المجزوءات) التى هى اختصار البحور الشعرية ، ووجود (الأبحر الممزوجة) التى تتركب من الأجزاء الخماسية والسباعية ومنها (بحر الطويل) و (بحر البسيط) كل هذه العوامل والأسباب من جهتها الوجيهة والسالبة دفعت الموهوبين من شعراء (الأندلس) إلى اختراع (الموشحات) التى انتشرت من (الأندلس) فى الخافقين ، والتى أصبحت وسيلة جديدة للتعبير الشعرى ، ولكنه التعبير الحر المنطلق الذى لا يتقيد بوزن واحد ولا قافية واحدة ، وإن اتصف بالوزن والقافية أيضاً ! والذى فعله الأندلسيون قديماً فعله العراقيون فى القرون المتأخرة ، فأخذوا (البند) عن الشعر الفارسى وجعلوه وسيلة طريفة وطريقة جديدة للتعبير الشعرى . والذى دفع الشعراء العراقيين إلى هذا الصنيع ، فسبقوا إخوانهم فى الأقطار العربية الأخرى ، هو مجاورتهم لفارس ثم دراستهم لعيون الأدب الفارسى وروائعه الشعرية ، إذ نبغ كثير من الشعراء العراقيين بنظم الشعر الفارسى إضافة إلى نبوغهم بنظمه بلغتهم القومية . ولا ننس فى هذا المجال ميزة أخرى لا تقل أهمية عما ذكرنا ، وهى ميزة الغناء ، إذ (البند) يغنى فى مجالس الأنس والطرب ، وصفة الغناء هذه كما دفعت العراقيين إلى اقتباس البند من الفرس ، دفعت الأندلسيين إلى اختراع (الموشحات) . والغناء هو السبب الأول فى اختراع (الكان ما كان) و (القوما) و (الزجل) الخ . . وهذه كلها أغانى رائجة فى الشعر العربى الشعبى . فما هو البند إذاً فى اللغة والشعر ؟

جاء فى (القاموس) البند : العلم الكبير . وقال (الجوهرى) (: البند العلم الكبير فارسى معرب .) وقال الشاعر القديم :

« وأسيافنا تحت البنود الصواعق »

وقال الشاعر العراقى المرحوم جميل صدقى الزهاوى [1] (إن كلمة البند فارسية الأصل وهى بمعنى العقد والربط) وذكر الزهاوى أيضاً (والبند هو الحلقة الوسطى بين النظم والنثر وهو مستعمل عند الفرس والترك .) وجاء [2] فى كتاب (للحق

(١) مجلة (اليقين) البغدادية . ع ١ . س ١ (الصادرة فى ١٩٢٢ م)

(٢) ترجمة اللغوى المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملى

بالمعاجم العربية) للدوزى (البند مشتق من بنود الرمح وهى ألاعيب تكون بواسطة الرمح ومنها البنود الفكرية وتكون ملاعب بالبديع والفكر .) وجاء [٣] فى المعجم الفارسى اللاتينى ا (فوليرز) (البند مشتق من (بتستند) ويراد به الرباط وكل ما يوصل به ، ويطلق مجازاً على الخيال والفكر واللاحظة والتوقع .) . وقال اللغوى الأب الكرملى (ومن معانى (البند) الحيلة والفن والتوصل إلى شئ باحتيال .) ومن معانيه أيضاً (البيت ينظم بعد عدة أبيات ويعاد وله قافية تختلف عن قوافى سائر البيوت وله رديف يسمى (بند ترجيع) و (تركيب) كما جاء فى (البرهان القاطع [٤]) . وجاء فى (الليث [٥]) (فلان كثير البنود أى كثير الحيل) وجاء فى كتاب (حاشية التحفة) للشيخ عمر البصرى أن البند (يطلق على المحابس التى تجعل بين حبات السبحة ليعلم بها على المحل الذى يقف عنده المسبح .) وقال القاضى الأديب محمد [٦] الهاشمى البغدادى (البند ضرب من الكلام المسجع الموزون أشبه بما نسميه فى هذه الأيام بالشعر النثرى ، وبعض أساجيعه آتية على وزن بحر (الهزج)

يتلخص لنا من كل هذه التعاريف التى أوردها أهل اللغة والأدب من عرب ومستشرقين ، ومن قدماء ومعاصرين ، أن لفظة (البند) فارسية معربة ، وأن من معانيها العلم ، والعقد والربط ، ونوع من الألاعيب ، وحيل الفكر ... وكل هذه المعانى المختلفة المنطبقة على هذه اللفظة لا تهمنا فى هذا الموضوع ، ولكن الذى يهمنا معنى الكلمة المجازى وهو هذا النوع الطريف من الشعر العربى ، المأخوذ من الشعر الفارسى ، والذى يأتى (كله) على بحر الهزج ، وهو :

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولا يأتى بعضه [٧] فحسب ، على ما يقول الأستاذ الهاشمى ، ولكن ضرب البيت الثانى منه يأتى مطرداً ... وهنا بعد أن ذكرنا لك هذه النبذة عن منشأ البند وسبب وجوده وانفراد العراقيين به ، لا بد وأن نذكر لك نموذجاً لتتذوق هذا النوع الشعرى الطريف ، وهذا النموذج هو وصف حصان عربى أصيل لأحد شعراء (الحلة) المجهولين ، قال :

أيا مرتقياً سرج جواد من جياد الخيل جاح
رباعيا من الصخر فى فرته النجم إذا لاح
طويل العنق والساق سريع الخطو سباق
قصير الأذن والظهر وسيع العين والجبهة والصدر
فلا الريح يباريه ، إذا غار
ولا السهم يجاريه ، إذا سار
ولا الطير يحاذيه ، وإن طار
ولا يسبق إن مر ولا يلحق إن فر
ولا يصحبه الحر ولا يتعبه الكر

والشاعر يمضى فى بنده هذا واصفاً حصانه هذا الوصف الفنى البليغ ، حتى يصل (بغداد) من (الحلة) ، فيمدح واليها سعيد باشا وكانت ولايته فى بغداد [٨] سنة ١٢٢٨ هـ وهو كما مدح الوالى فقد مدح أدباء بغداد كالألوسى الكبير والأخرس والعمرى ... والبند العراقى ، قد نبغ فى نظمه شعراء كبار كثر؛ أشهرهم — عدا ابن الخلعة — عبد الغفار الأخرس وحسين العشارى ومحمد سعيد الحلى وأحمد الجصانى وعباس العبدلى وسيد على أبو طبيخ ؛ وللأخير بند بديع يصف فيه (طائرة) حملت بعض أقاربه إلى (لبنان) ، وصفها وصفاً خياليا وهو فى بلدته (النجف) قعيد السقم والمرض ، ولعله فى حياته لم يركب الطيارة ، كشاعرنا الذى وصف الحصان بعد أن قطع به طريقه ، بل ولعله لم يرق حياته الطيارة أيضاً ! قال [٩] .

أيها الراكب فى طائرة تحتمل السفر
وتطوى سيل الجو فما قادمة الصقر !

(٣) ترجمه أيضاً
(٤) قاموس فارسى وتركى وتركى وفارسى
(٥) مجلة اليقين
(٦) مجلة اليقين
(٧) هذا رأى الأستاذ خضر الطائى من شعراء العراق المشهورين

(٨) ذكر الأستاذ الشهابى فى مقاله الذى أشرنا إليه أن لابن الخلعة الحلى (١٢٤٧ — ١٢٩٧ هـ) ثلاثة بنود هى بنده فى وصف (الحصان) والثانى فى وصف الطريق إلى بغداد ، والثالث بنده فى (الغزل) — والذى نعلمه أنه لا يوجد بنداً فى وصف الحصان إلا ما ذكرناه وهو لشاعر مجهول ، وهو نفسه يصف الطريق ، وهذا البند قد نظم قبل ولادة ابن الخلعة بما يكثر من عشرين سنة

(٩) ديوان (الأنواء) للسيد المرحوم مير على طبيخ ص (: ١٦٤ — ١٦٦) مطبعة الراعى فى النجف

بمفارق جناح ذات تصويب وتصعيد وألحان وتغريد
كأن البرق في حيزومها حل فلا وعر يقاديها ولا سهل
ولا غرق ، إذا تسترق السمع فتأتي بنبأ قاطنة السبع
فسبحان الذي أنشأ منشيها فسواه وأسرى سبل العلم لذي الجهل فأغناه

أرح نفسك إن أصبحت في ضفة (لبنان)

وروحها برشف من لمى حور ووجدان
ففيها صفوة العيش ولا منكر للطيش ... الخ

وبعد ، فلعلني أفصحت في مقالي هذا عن معنى (البند) وعمن اقتبس ، ومن أجل فيه ، وأن مقتبسيه هم العراقيون لا أهل (الحويزة) على ما يقول الأستاذ الشهابي ، وأنه نوع من الشعر ، ومن بحر (الهزج) وليس هو من النثر الشعري ، أو من السجع على ما يقول الكثيرون

بغداد محمود العبطة

مقدمة الكتاب « عقيدتي » :

برتراند رسل

الفيلسوف الإنجليزي المعاصر

للأديب عبد الجليل السيد حسن

ذهن عجيب جبار ، ينشد الوضوح في كل شيء ، لا يقبل إلا ما يرضاه عقله ويهديه إليه فكره . وتفكير حر إلى أبعد حدود الحرية . طالما أفزع الدولة بل العالم . وجرى غاية الجرأة يقول ما يعتقده حقا وما يراه صوابا ، وإن أحفظ عليه نفوسا كثيرة وأثار على شخصه عاصفة هوجاء ، أدت به إلى السجن ، وأفقدته كرسيه في الجامعة . . ولكنه لم يبال . وعاطفة زاخرة جياشة بجانب هذا التفكير العقلي البحت ؛ فهو لا يعيش في برجه العاجي لا صلة له بالواقع ، فحينما يرى شباب أوربا يساق إلى الحرب استجابة لرغبة حفنة تنتفع من الحرب وتعيش على « الموت » ، يأبى عن نفسه رداء الفكر المجرد ، لينزل بعاطفة قوية عنيفة ، يحارب الحرب ويصرخ أن قفوا هذه المجزرة . وإنسان صبور جلد ، لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ، لا يمل العمل ، ولا ينقطع عن الترحال ؛ جاب البلاد خابرا دارسا من أوربا إلى أقصى الشرق إلى الصين ، وجرب كل شيء ، جرب السجن ، بل جرب الموت !

* * *

هو الإرل برتراند أرثر وليم رسل . ينحدر من عائلة من أشرف العائلات الإنجليزية وأشهرها وأوفرها حظا من المشاركة في أمور الدولة السياسية . وهو ليس كريم النسب من جهة أبيه فقط ؛ بل من جهة أمه كذلك ، فأبوه ابن اللورد جون رسل الوزير البريطاني المشهور ، وأمه بنت اللورد ستانلي أف الدرلي ؛ فهو أرستقراطي النشأة طيب الأرومة

وقد ولد في ١٨ مايو سنة ١٨٧٢ ؛ وحينما بلغ من العمر سنتين ماتت أمه ولحق بها أبوه في العام التالي فترك يتيما وهو ابن ثلاث سنوات ، ولم يتمكن أبوه ولا أمه من تلقينه عقيدتيهما في الدين والحياة . وكانا أبوين عجيبين — وعلى غرارهما سينشأ الابن — من أحرار المفكرين ؛ فأبوه كان يميل إلى المذهب « اللاأدري » وكان صاحب مزاج عجيب ورأى غريب نأى به عن الحياة السياسية التي أرادها ، فقد رشح نفسه للبرلمان ودخله ، ولكن لما عرف عنه من آرائه الحرة كما في تحديد النسل وحقوق المرأة والمسيحية ، ولاستغلال خصومه ذلك في التشنيع عليه لم يدخل البرلمان ثانية ، ولم ينل من الحياة السياسية ما يبتغي من أمل . أضف إلى ذلك أنه كان خجولا ، ليس له من صفات السياسي شيء كثير ، بل كانت صفاته أقرب إلى الدرس والعلم منها إلى السياسة ، فكان تلميذا ثم صديقا « لجون استوارت مل » الفيلسوف الإنجليزي المنطقي الاقتصادي المعروف ، يؤمن بآرائه وينتصب لها ، وقد تخلى عن عقيدته المسيحية في سن الحادية والعشرين ورفض الذهاب إلى الكنيسة في يوم عيد الميلاد . وحينما مل السياسة أو بالأحرى ملته هي خصص نفسه لتأليف كتاب في « تحليل العقيدة الدينية » نشر بعد وفاته ، وقد كانت زوجه تشاركه هذه الآراء ، وقبل أن يموت أوصى بتربية برتراند رسل وأخيه تربية حرة ، لا تفيد فيها بدين معين ، ولا